قول ذي الرمة نحطت ناقتي من فقائه ومن نام عن ليلها متزمل يريد الكسلان
المتقاعس الذي لا ينهض في معاظم الامور وكفايات الخطوب ولا يحمل نفسه
المشاق والمتاعب ونحو سهدا اذا ما نام ليل الهوجل وفي مناكهم اوردها
سهوقة سهد مشمل ما هكذا تورد يا سعد الابل فذمه بالاشتمال بكسائه وجعل
ذلك خلاف الجلد والكيس وامر بان يختار على الهجود التهجد وعلى التزمل التشمر
والتخفف للعبادة والمجاهدة في الله لا جرم ان رسول الله قد تشمر لذلك مع
اصحابه حق التشمر على احيا لياليهم ورفضوا له الرقاد والدعة وتجاهدوا
فيه حتى انتفخت اقدامهم واصفرت الوانهم وظهرت السيمى في وجوههم وترامى
امرهم الى حد رحمهم له ربهم فخفف عنهم وقيل كان متزملا في مرط لعايشة يصلي
فهو على هذا ليس بتهجين بل هو ثناء عليه وتحسين لحاله التي كان عليها وامر بان
يدوم على ذلك ويواظب عليه وعن عايشة رضي الله عنها انها سئلت ما كان تزميله
قالت كان مرطا طوله اربع عشرة ذراعا نصفه علي وانا نائمة ونصفه عليه وهو يصلي
فسئلت ما كان قالت والله ما كان خزا ولا قزا ولا مرعزى ولا ابريسما ولا صوفا
كان سداه شعرا ولحمته وبرا وقيل دخل على خديجة وقد جئث فرقا اول ما اتاه
جبريل وبوادره ترعد فقال زملوني وحسب انه عرض له فبينا هو على ذلك اذ ناداه
جبريل يا ايها المزمل وعن عكرمة ان المعنى يا ايها الذي زمل امرا عظيما اي حمله والزمل
الحمل وازدمله احتمله وقرئ قم الليل بضم الميم وفتحها قال عثمان بن جني الغرض
بهذه الحركة التبلغ بها هربا من التقاء الساكنين فباي الحركات تحرك فقد وقع الغرض
نصفه بدل من الليل والا قليلا استثناء من النصف كانه قال قم اقل من نصف الليل والضمير
في منه وعليه للنصف والمعنى التخيير بين امرين بين ان يقوم اقل من نصف الليل على
البت وبين ان يختار احد الامرين وهما النقصان من النصف والزيادة عليه وان شئت
جعلت نصفه بدلا من قليلا وكان تخييرا بين ثلاث بين قيام النصف بتمامه وبين قيام
الناقص منه وبين قيام الزائد عليه وانما وصف النصف بالقلة بالنسبة الى الكل

الكل وان شئت قلت لما كان معنى قم الليل الا قليلا نصفه اذا ابدلت النصف من الليل
قم اقل من نصف الليل رجع الضمير في منه وعليه الى الاقل من النصف فكانه قيل قم اقل
من نصف الليل او قم انقص من ذلك الاقل او ازيد منه قليلا فيكون التخيير فيما وراء
النصف بينه وبين الثلث ويجوز اذا ابدلت نصفه من قليلا وفسرته به ان تجعل
قليلا الثاني بمعنى نصف النصف وهو الربع كانه قيل او انقص منه قليلا نصفه وتجعل
المزيد على هذا القليل اعني الربع نصف الربع كانه قيل او زد عليه قليلا نصفه ويجوز ان
تجعل الزيادة لكونها مطلقة تتمة الثلث فيكون تخييرا بين النصف والثلث والربع فان
قلت اكان القيام فرضا ام نفلا قلت عن عايشة رضي الله عنها ان الله جعله تطوعا
بعد ان كان فريضة وقيل كان فرضا قبل ان تفرض الصلوات الخمس ثم نسخ بهن الا ما تطوعوا
به وعن الحسن كان قيام ثلث الليل فريضة وكانوا على ذلك سنة وقيل كان واجبا وانما
وقع التخيير في المقدار ثم نسخ بعد عشر سنين وعن الكلبي كان يقوم الرجل حتى يصبح
مخافة ان لا يحفظ ما بين النصف والثلث والثلثين ومنهم من قال كان نفلا بدليل التخيير
في المقدار ولقوله تعالى ومن الليل فتهجد به نافلة لك ترتيل القرآن قراءته على ترسل
وتؤدة بتبيين الحروف واشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيها بالثغر المرتل
وهو المفلج المشبه بنور الاقحوان وان لا يهذه هذا ولا يسرده سردا كما قال عمر رضي الله
عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يشبه المتلو في تتابعه الثغر الالص
وسئلت عايشة رضي الله عنها عن قراءة رسول الله فقالت لا كسردكم هذا لو اراد السامع
ان يعد حروفه لعدها وترتيلا تاكيد في ايجاب الامر به وانه ما لا بد منه للقاري هذه
الاية اعتراض ويعني بالقول الثقيل القرآن وما فيه من الاوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة
على المكلفين خاصة على رسول الله لانه متحملها بنفسه ومحملها امته فهي اثقل عليه وابهظ
له واراد بهذا الاعتراض ان ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة
التي ورد بها القرآن لان الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن احياه من
مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه وعن ابن عباس رضي الله عنه كان اذا انزل عليه الوحي

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)